جامعة بغداد-كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

اللسانيات الاجتماعية و التخطيط اللغوي

كريم عبيد علوي

الملخص :

يرتكز هذا البحث على منهجية وصفية تحليلية تعنى بالبحث عن المرجعيات اللسانية للتخطيط اللغوي التي تمثلت باللسانيات الاجتماعية ؛ منطلقاً من مشكلة كبرى تمثلت بعدم فاعلية التخطيط اللغوي في الأدبيات العربية ؛ لغياب أسس البحث اللساني الاجتماعي العربي ومرتكزاته. وقد توزع البحث على أربعة محاور، اهتم المحور الأول بتتبع الارهاصات النقدية الاجتماعية للسانيات البنيوية وأسسها المنهجية التي شكلت مخاض انبثاق اللسانيات الاجتماعية ، والمحور الثاني تناول أهم المبادئ اللسانيات الاجتماعية وأسسها ، والمحور الثالث توقف البحث عند أهم المعالجات اللسانية الاجتماعية التي شكلت منطلقا لأبحاث التخطيط اللغوي ، أما المحور الرابع والأخير فقد اهتم برصد غياب المرجعيات اللسانية الاجتماعية والأبحاث الميدانية عن الأدبيات العربية للتخطيط اللغوي مبيِّناً أهم الأسباب التي تقف وراء ذلك في معالجة تحليلية.

مقدمة

ينبثق التخطيط اللغوي على أيدي علماء مختصين باللغة يعكفون على دراسة الوضع اللغوي ومشكلاته في خضم تفاقم المشكلات اللغوية الاجتماعية ، وبعد تشخيص المشكلات ووضع المقترحات العلمية والاجتماعية يهيئون بنتائجهم معالم سياسية لغوية تكتسب صفة الرسمية إذا تبنى تطبيقها وتنفيذ برامجها أصحابُ القرار السياسي ومن يمتلكون منافذ السلطة التنفيذية . ولعلماء اللغة في دراساتهم التخطيطية أدواتهم العلمية الموضوعية التي شكلتها مرجعيات لسانية مختلفة ، فماهي تلك المرجعيات اللسانية التي شكلت الأدوات الإجرائية للتخطيط اللغوي وسياساته الرسمية ؟ ومن أي المشارب اللسانية النظرية المتعددة امتاح علماء التخطيط اللغوي أدواتهم المنهجية ؟ وما هي أبرز المقترحات التي يقدمها التخطيط اللغوي لإصلاح اللغات في ضوء المرجعيات اللسانية . ذلك ما سوف تحرص على الإجابة عليه ورقتي البحثية هذه .

المحور الأول: الارهاصات الموضوعية لانبثاق اللسانيات الاجتماعية :

إنَّ أبرز القضايا اللغوية التي تعنى بها أدبيات التخطيط مثل الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية وتزويد اللغات بمعالجات إصلاحية وتوفير الوسائل العلمية لتعليمها واكسابها لغير الناطقين بها تندرج ضمن أبحاث اللسانيات التطبيقية التي تجمع تلك القضايا إلى جنب قضايا تهتم بها اللسانيات التطبيقية مثل وضع المعاجم واقتراح المصطلحات و معالجة أمراض الكلام واضطرابات النطق العضوية . واللسانيات التطبيقية تفيد مما تهيّؤُهُ اللسانيات النظرية من طروحات فتفيد منه في معالجة المشاكل العملية اللغوية ، وقد تجري على تلك الطروحات النظرية تغيرات رئيسة لتكييف تلك الطروحات العلمية في حل المشاكل اللغوية في أبعادها التداولية . ومن الممكن أن تعيد النظرَ اللسانياتُ النظريةُ في طروحاتها وتجري تطويرا لها على هدى تجربة اللسانيات التطبيقية (١)،

ولا يوجد إطار نظري محدد للسانيات التطبيقية ؛ فالمشكلة اللغوية هي تملي عليها انتقاء تصور لساني ما يمكنه الاسهام أكثر من غيره في معالجة تلك المشكلة . واللسانيات التطبيقية لا يقتصر الإسهام فيها على اللغويين وحدهم إذ يشاطرهم تلك المهمة علماء الاجتماع وعلماء النفس . ويمكن تمييز مرجعيتين لسانيتين رئيستين تشكلان رافدين نظريين معرفيين للسانيات التطبيقية ، هما اللسانيات النفسية واللسانيات الوصفية الاجتماعية . واللسانيات النفسية وآفاقها التطبيقية تصب في إطار المشكلة اللغوية الفردية ، فاضطرابات النطق والحبسة وأمراض الكلام ليست من المظاهر العامة بل هي تنحصر في معالجة العوق اللغوي الفردي مما يخرج تلك الأبحاث من مظاهر التخطيط اللغوي الاجتماعي ، فأدبيات التخطيط اللغوي علاقتها باللسانيات التطبيقية علاقة الخاص بالعام .

عنيت اللسانيات الامريكية – قبل (بلومفيلد) و(تشومسكي) – بالمشكلة اللغوية في بعدها الاستعمالي ضمن أطر الثقافة والأنثروبولوجيا على يد (بواس) فاهتمت بالدراسة الميدانية الوصفية ، ولكن لهيمنة اللسانيات البنيوية انحسرت من مجال الاهتمام ولم تبرز قضاياها في المشهد اللساني الاوربي الا بعد بروز تيار اجتماعي لساني يهتم باللغة وعلاقة اللغة بالثقافة . وكان من بين الدراسات التي اهتمت بالإرث اللساني الامريكي الإنثروبولوجي الأدبيات اللسانية التي تعنى بمسائل التخطيط وقضاياه لاسيما أفعال الهوية التي تجلت عند (لابوف) (٢).

شددت اللسانيات البنيوية على إمكان دراسة النسق اللغوي بعيدا عن مجال استعماله ، فهذا الخيار المنهجي مكنها من تحقيق الطفرة المنهجية في تحقيق مبدأ العلمية المرتكز على تحديد موضوع الدرس ، فمن أبرز عبارات (سوسير) الشهيرة في محاضراته هو دراسة اللغة ذاتها من أجل ذاتها ، وتمييزه في ثنائياته العديدة بين اللغة والكلام مفضلا اختيار اللغة موضوعا للدرس لا الكلام ، فهو متغير وغير متجانس وقد تكتنفه الأخطاء مثلما أي أداء لأي نسق صوري فلا يحقق ذلك الأداء صورة تطابق ذلك النسق بنحو مثالي في وقت تريد اللسانيات البنيوية الدقة والموضوعية في الوصف ، فاستبعدت الكلام و تنوعاته المختلفة من موضوع دراستها ، فهي ترى إمكان دراسة الشفرة اللغوية بعيداً عن أطر الاستعمال مثلما يمكن دراسة نظام السمفونية بعيداً عن أداء العازفين لها ، فمن الممكن أن يتسم أداؤهم بعد المثالية والتلكؤ في تجسيد شفرة السمفونية المعدة سلفا قبل الأداء(٣)، هذا النظر المنهجي أفضى إلى الاحتفاء بدراسة النظام بنحو صوري مجرد وتمييز اللغة على مستوياتها المتعددة لكي تسهل الإحاطة بنظام اللغة ، ولم تخرج لسانيات (تشومسكي) عن هذه الأطر المنهجية إذ شدد على إمكان دراسة اللغة بنحو صوري مثلما يمكن أن يدرس نظام النقد المالي والتسليف في علم الاقتصاد بعيدا عن أطر التداول المالي ، فالتجريد الصوري الصارم يقترب بها من النزعة العلمية ، وهي ركيزة أساس في البحث اللساني (٤).

وعوَّل (تشومسكي) كثيراً على موضوع البحث وهو الكفاية الضمنية اللغوية للفرد التي تبيح له فهم ما لا حصر له من جُمَلٍ وتوليد عبارات لغوية غير محدودة ، فكان خيار البحث لدية يتمحور على اختيار المتكلم المثالي بوصفه الممثل البديل عن العينة اللغوية والمتن اللغوي . ومن قبل كانت اللسانيات البنيوية قد حددت مبادئ المتن اللغوي الصالح للبحث والكاشف عن النسق والنظام اللغوي . وقد تمثلت تلك المبادئ بوحدة المكان وتحديد الزمان وعدم اتساع البحث لحقب طويلة ، فذلك الأمر يفوت الفرصة على الباحث باكتشاف النظام بنحو دقيق بسبب مرور اللغة بتحولات تمس جوهر نظامها عبر تلك المرحلة الطويلة . ومن تلك المبادئ التجانس في المتن اللغوي ، فاللغة تتنوع مستوياتها بين العامي والأدبي والملفوظ والمكتوب والمستوى الادبي ، وغالبا ما يقع الاختيار على المستوى الادبي دون النظر والتعويل على بقية المستويات ، فالنظام لا تبرز خصاصه الا بوحدة المستوى المدروس(٥). هذه المبادئ تزعزعت في المشهد اللساني بعد حين بتطور الدراسات الوصفية وجرى التشكيك بتجانس المستوى الواحد ، وبدأت اللسانيات ترى وهم التجانس وأن المتن المدروس يخضع الى الصناعة لأسباب اجتماعية ترتبط بأهمية الاسلوب المدروس سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وفيما يخص تنوعات المستويات اللغوية بدأ النظر يتغير بتطور الدراسات اللغوية الاجتماعية وتناميها فهي أكثر من تلك الأقسام وأغزر تنوعا ، فإلى جانب اللغة المنطوقة والمكتوبة والمستوى العامي والأدبي هناك المستوى الحميمي العاطفي الذي يبرز في إطار لغة الأسرة وهناك المستوى الرسمي ، وهناك المستوى الحيادي ، و المستوى الحميمي كل ذلك كان له أثر مهم في تقييم اللغات الرفيعة عن اللغات الوضيعة على يد (فرغسون) كما سيتضح بعد حين ، وهو أمر أتاح للسياسة اللغوية انتقاء اللغة الرفيعة في المجتمع المتعدد لغويا وتبنيها لغة رسمية.

المحور الثاني : المرتكزات المنهجية للسانيات الاجتماعية :

ومنذ ستينيات القرن العشرين أخذ تيار اللسانيات الاجتماعية يخط ملامحه المنهجية التي تميزه عن تيارات ومناهج لسانية غربية مختلفة وعديدة ، تلك البصمات المنهجية تبلورت على أيدي اللسانيين (فيشمان) و (لابوف) و (هايمز) و(فرغسون) وغيرهم ، و بخلاف التيارات اللسانية الشائعة لم يشكل سؤال نظرية اللغة وإطارها المعرفي سؤالا مركزياً لدى هذه الثلة من اللسانيين ، ولم تفصح عن انتمائها لنظرية من نظريات اللغة الشائعة بقدر ما تأسست شرعيتها المنهجية على نقد الأبعاد الإجرائية النسقية الصورية المجردة في النظر البنيوي ، فلم تتنكر لمبدأ المقارنة كما شددت على ذلك لسانيات (سوسير) في تمييزها بين البعد التزامني (السايكروني) والبعد التاريخي التعاقبي المقارن (الدايكرونك) ، فقد شعرت بأهميته في موازنة اللغات الوطنية بعضها ببعض للتعرف على وضع اللغات داخل المجتمع الواحد والوقوف على أهلية تلك اللغات في التواصل الاجتماعي ، وإلى جنب نقد النسق البنيوي ، وتعويلها على مبدأي عدم الاحتفاء بالنظرية والاهتمام بالموازنة

يقف بنحو بارز ومهيمن البعد الوصفي الميداني في منهجها اللغوي المرتكز على تتبع التنوعات الاجتماعية للغة الواحدة بمستوياتها المتعددة . وقد كان الوصف عند تلك الأبحاث اللسانية الاجتماعية مشفوعاً بأرقام رياضية ومنحنيات ورسوم بيانية لقياس التفاضل اللغوي في الاستعمال وبيانات إحصائية للوضع الاجتماعي للغة ونسب دقيقة يؤهلها للحكم بدقة على الوضع اللغوي وتقييم اللغات(٦) ، وتلك المعايير الإحصائية هي التي أكسبتها الدقة والوجاهة العلمية وعززت ثقة أصحاب القرار الرسمي بطروحاتها الموضوعة ، مما مهد الطريق إلى تبني طروحاتها في التخطيط والسياسة اللغوية ، وكانت اللسانيات الاجتماعية تعنى كثيراً بتحليل النتائج الوصفية ، فالتحليل الاجتماعي بصمة تنماز بها منهجيتها اللغوية ، فلم يكن الوصف لديها غاية لذات الوصف مثلما تبلور في مقولة (سوسير) دراسة اللغة ذاتها من أجل ذاتها ، فقد تخلت اللسانيات الاجتماعية عن ذلك المبدأ الذي ارتكز على مقولة (سوسير) السابقة التي رأى فيها أن غاية الجهد العلمي اللساني هو وصف مكونات نظام اللغة وأن يتخطى النظر التقييمي المعياري في تخطئة وتصويب الاستعمال ، فالنظر اللساني ينحصر في الوصف والتفسير ، على حين نظرت اللسانيات الاجتماعية في تقييم الوضع اللغوي ، واستشرفت مستقبل اللغات من زوايا مختلفة متنبئة لبعضها الموت والاخرى الإزاحة في الاستعمال لصالح لغات ثانية تفوقها من حيث الأهلية العلمية الاصطلاحية و توقعت للغات أخرى اتساعاً في ثنائياتها (٧) . ولا شك أنَّ ذلك النظر التقويمي شكل سمة اهلَّتها أنْ تتصدر دون غيرها من تيارات لسانية في إدارة التخطيط اللغوي وتزويد الرؤى والسياسات الاصلاحية بمعالجات دقيقة تمكن دمج الناطقين بتنوعات لغوية مختلفة بالمستوى اللغوي العام فقد لاحظ اللساني (لابوف) الذي كان مهتما بدراسة التصنيف الطبقي الاجتماعي بعد أن أجرى دراسته الميدانية على اللغة الانكليزية في مدينة نيويورك ، نقول لاحظ (لابوف) تباين التنوعات الصوتية من طبقة اجتماعية لأخرى (٨) ، وبسبب من ذلك فقد ناهض فرضية العالم (بيرنستاين) فقد فسر الأخير تدني المستوى الدراسي للطلبة السود موازنة بأقرانهم البيض من الطبقة الاجتماعية الوسطى وعزاها إلى الطرق الايصالية التي يستعملها آباؤهم وامهاتهم فهي بمحتواها اللفظي تعزز وتدعم الأفكار المنطقية والعقلية المجردة في حين توسم بيئة لغة الطبقة العاملة من السود بأنها تفضي إلى مهارات لغوية محدود لفقر بيئتهم مما ينعكس في فقر ألفاظها واساليبها إذا ما جرت موازنتها مع لغة الطبقة الوسطى ،ولكن (لابوف) أثبت أنَّ نظام لغة العاملين السود لا يقل في التعقيد والتركيب والتنوع عن نظام لغة الطبقة الوسطى ، فالسبب يعزى لديه إلى المعلمين المشرفين على تعليم هؤلاء الأطفال السود ، فهم يجهلون خصوصية لغة أولئك الأطفال السود ، ولغتهم تنسجم مع لغة أطفال الطبقة الوسطى ، فهم أكثر تفاعلا واستيعابا بسبب ذلك، الانسجام اللغوي الأمر الذي استدعى النظر من زاوية تربوية إلى ضرورة الأخذ بعين الاهتمام مراعاة الخطاب التربوي للغة التلاميذ ، وتباين البرامج التربوية والعلمية تبعا لاختلاف الاقاليم ذات الخصوصيات المتنوعة (٩) ، فأبحاث التخطيط اللغوي ترتبط برؤى انمائية تربوية و لا تنحصر بجعل التواصل سهلا وممكننا في البيئات الاجتماعية المتعددة لغوياً .

المحور الثالث : المبادئ اللسانيات الاجتماعية للتخطيط اللغوي :

ومن المبادئ اللسانية التي هيأت للتخطيط حقائق مهمة في تقييم وضع اللغات وانتهاج خيارات اصلاحية تتعلق بلسانها هو خروج الدراسات اللسانية من أسر مبدأ التزامنية المنكر أشد الإنكار للنظر التاريخي التعاقبي على حين لا يمكن معرفة أو تقييم وضع اللغة من دون معرفة الحقب التي مرت بها والموازنة بين رقي اللغة وضعفها في تلك الحقب ومعرفة الأسباب المتحكمة في ذلك لمعالجتها على وفق برامج التخطيط .

كما ناهضت اللسانيات الاجتماعية مقولة تكافؤ اللغات وعدم جواز المفاضلة بينها التي بشرت بها اللسانيات البنيوية ، فاللسانيات على الرغم من عدم تقاطعها كثيراً مع مقولة عدم التفاضل بين اللغات في أنظمتها إلا أنها اقتفت المقومات الاجتماعية والثقافية والعلمية التي تجعل لغة ما وضيعة وأخرى لغة رفيعة ، فمن حيث المبدأ والامر الافتراضي المجرد فلكل لغة وسائلها الخاصة بها التي تؤهلها لتجسيد فكرة علمية بطريقتها الخاصة التي تختلف بها عن اللغات الأخرى ، ولكن الواقع العملي يثبت فقر بعض اللغات في ألفاظها المتعلقة بجانب تقني ما موازنة بلغة ثانية ، فإن كانت اللغات في تصور علماء اللسانيات متكافئة ولكن ذلك التكافؤ على صعيد المستوى المجرد ، فالتجربة الميدانية في فحص اللغات تثبت أنَّهن لا يتمكن جميعاً أنْ يؤدين الوظائف نفسها ، فاللغة غير المكتوبة لا تتمكن أن تكون وعاء للمعارف ، ومن الصعب جدا تعليم المعارف التقنية الدقيقة والمعلومات في لغات تفتقر الى مصطلحات علمية ، ومن الصعب كذلك اختيار لغة أقلية تستعمل في نطاق محدود وجعلها لغة رسمية توحد بها البلاد (١٠) .

تزود اللسانيات الاجتماعية السياسات اللغوية بالوسائل العلمية والادوات التي تتيح لها سبل الاصلاح اللغوي ، وبتطور اللسانيات من النظر البنيوي الشكلي للغة نحو أفق الاستعمال وعلاقة اللغة بالمجتمع والثقافة شهدت السياسات اللغوية والتخطيط تطورا ملحوظا إذا ما جرت موازنته بحقبة التخطيط اللغوي المتزامن للسانيات البنيوية غير الاجتماعية(١١) .

إنَّ اختيار اللغة الرسمية يخضع لأسباب اجتماعية وثقافية وسياسية يمكن الكشف عنها في النظر الاجتماعي .

لقد سعت جاهدة اللسانيات الاجتماعية في فحصها للثنائية اللغوية في إطار اللغة الواحدة ومستوياتها اللهجية من محكيات عامية دارجة إلى التمييز بين التنوع الرفيع و التنوع الوضيع ، فالتنوع الرفيع إطاره التداولي يتجلى في وسائل الإعلام والخطاب السياسي الرسمي والخطب الدينية ، على حين التنوع اللغوي الوضيع يتشكل إطاره التداولي في لغة العائلة ولغة الشارع والأدب الشعبي ، ففيما يرى (فرجسون) أن للغة الرفيعة شروطاً تتلخص بالمبادئ الاتية:

أولا: أن تستعمل من قبل أكثر من ربع سكان البلاد وثانيا أن تشكل خمسين في المئة من لغة التعليم في المدارس الثانوية .

الى جنب مبادئ مهمة كأن تستعمل اللغة في المواقف الحميمية وتكسب الطابع الرسمي في الادارة وخطابات الدولة وعقد الاتفاقات وتكون لغة التعليم ، أو تكون لغة ديانة مهمة ، أو تستعمل في محافل عالمية بعيدا عن تداولها في محيطها الوطني ، وأن تحظى اللغة بأهمية تجعلها موضوعا للتعلم وهدفا لاكتسابها من غير الناطقين بها .(١٢)

وتميز الدراسات اللسانية الاجتماعية بين نوعين من الازدواجية اللغوية هما الازدواجية القوية والازدواجية الضعيفة . ففي الازدواجية اللغوية القوية يكون التباين كبيرا في نظام النحو والدلالة بين اللهجة المستعملة واللغة المعيارية في ادراك المستعملين لهما ، على حين في الازدواجية الضعيفة ينخفض التباين البنيوي بين النظامين حتى يكاد أن يكون النظام فيهما نظاما واحدا . وثمة مرحلة يجري فيها التحول من الازدواجية القوية الى نقيضتها الازدواجية الضعيفة ويحصل ذلك في رأي (فيرغسون)عندما يجري تعميم أنماط التعليم وتطوره ، وحينما يتسع إطار التواصل اللغوي بين مختلف أجزاء المجتمع الواحد الى جنب توافر رغبة في جعل لغة وطنية واحدة رمزا للاستقلال والسيادة والوحدة السياسية ، ويرتبط أفول الازدواجية بالتحديث والتمدن واسباب تجارية (١٣).

كما بحث (فيرغسون) ارتباط الثنائية اللغوية بالأثر الوظيفي ، فالتباين الوظيفي في أدوار مهمة وموزعة بين اللغات أمر من شأنه أن يعزز من تلك الثنائية في المجتمع كأن تكون احدى اللغات تتيح فرص عمل وتسهيلات اقتصادية للمتحدث بها أو الانخراط في برامج علمية متطورة وهي ليست لغته الام أو لغة وطنية ثانية على حين قد تعزز اللغة الأخرى هويته العرقية والدينية وما تضطلع به من وظائف كالاتصال الحميم بين المحيط الاجتماعي القريب له او أداء الطقوس الدينية (١٤).

المحور الرابع: قضايا التخطيط اللغوي للعربية في ظل غياب اللسانيات الاجتماعية

تعدم الدراسات العربية التي عنيت بقضايا العربية والسياسة اللغوية والتخطيط لثبت بياني إحصائي يرصد حجم الازدواجية اللغوية ونسبة الناطقين بها أو يمسح بثبت إحصائي الثنائية اللغوية ومستوى الخسائر والكلفة الاقتصادية . والواقع العربي بنحو عام يعيش تراجعاً كبيراً في برامجه الإنمائية فقد منيت مشاريع الدولة بفشل ذريع نتيجة هيمنة الحكومات الاستبدادية (الدكتاتورية) ، فلم تأبه في الأغلب الأعم بتوثيق دقيق يرصد المشاكل الاجتماعية و حاجات الانسان العربي فضلا عن مسح الواقع اللغوي الاجتماعي فمعظم الأدبيات العربية التي عنيت بالسياسة والتخطيط اللغوي قدمت ارقاما إحصائية لغوية لتجارب الامم الاوربية المختلفة (١٥)، وكيف يمكن ان تتهيأ معالجة اصلاحية لغوية دقيقة من دون التعرف على حجم المشكلة ومستوى تفاقمها !

والدراسات الميدانية اللغوية الاجتماعية التي تفحص الواقع الاجتماعي العربي اليومي عن كثب تكاد أن تكون معدومة بسبب عدم فاعلية المراكز البحثية والمؤسسات المعنية بالواقع اللغوي الاجتماعي ، فغالباً ما تنطلق الدراسات اللسانية وتحديدا في الجامعات العلمية من متطلبات تحصيلية تتعلق بإكمال مستلزمات الحصول على الشهادات العليا على ضوء منهجيات تراثية أو نظريات لسانية حديثة ولم ترتبط في معظمها بفحص ورصد لمشكلات الواقع الحياتي أو المسوغات الانمائية اللغوية .

وثمة أسباب كثيرة تقف وراء فقر الدراسات اللسانية العربية الاجتماعية لعل من أبرزها النظرة السلبية والاتهام بالدوافع غير النزيهة للكثير من الدراسات الوصفية العربية التي لم تنطلق من رصد المدونة المكتوبة ، فاهتمت

بدراسة الأداء الملفوظ المتمثل بالتنوع اللهجي ، فاتهمت بالعمالة لمشاريع تغريبية تهدف لتعميق الانقسام اللغوي وتلهيج الثقافات (١٦)، ولا يمكن لأي دراسة وصفية اجتماعية أن تقوم من دون فحص الاداء المنطوق وإن كان ذلك الأداء عامياً وبعيداً عن المستوى الفصيح ، فظلت معظم الدراسات اللسانية الاجتماعية العربية تحصر اهتمامها بالتعريف بالجهود اللسانية الاجتماعية العالمية أو ترجمة لأبرز الاعلام في هذا المجال أو استحضار التجارب التراثية التي تقترب من المعالجة اللغوية الاجتماعية مثل جهود الجاحظ (١٧) وجهود ابن خلدون في مقدمته . حتى أنَّ كثيرا من الدراسات العربية المعاصرة التي تأست بالمنطلقات الاجتماعية اللسانية بالتمييز بين لغة الطبقات الاجتماعية المختلفة ولغة الطفل والتمييز بين لغة الذكر ولغة الانثى ، لم تستلهم الخصوصية اللغوية الاجتماعية العربية فأعادت تكرار النتائج الغربية في تسميتها للسمات اللغوية الغربية (١٨) ولعل السبب هو ان السمات الفارقة بين الجنسين لا تظهر إلا في اللغة اليومية الحميمة العاطفية وهي لا تتجلى إلا في الأداء العامي غير الفصيح ، وفي الأداء المعياري الفصيح يظهر التكلف والتصنع ولا تتجلى هوية الجنس بنحو عفوي .وإلى جنب الأسباب السابقة يقف سبب مهم ، هو ان الدراسات اللغوية الاجتماعية التي انطلقت في أوربا صدرت بتضافر الاختصاصات اللغوية والاجتماعية و الانثربولوجية والنفسية و بروح الفريق الجماعي ، وهذا الصنيع يعدمه الواقع العربي المعاصر فلا يظهر العمل الجماعي بروح الفريق داخل التخصصات الواحدة فضلا عن التخصصات المتنوعة ، ولعل السبب في ذلك يكمن في عدم فاعلية المراكز البحثية التي يمكن أن تضم تخصصات مختلفة وتصدر في أبحاثها من التكليف الجماعي والإنفاق على البحث بهدف معالجة ودراسة مشاكل إنمائية . وينظم إلى الأسباب السابقة سبب مهم جدا في نظر البحث أفضى الى حضور غير فاعل للدراسات اللسانية الاجتماعية العربية يتلخص بكون الدراسات العربية المعاصرة انشغلت بإعادة وصف العربية وتحليل مكوناتها على ضوء المناهج اللسانية البنيوية والتوليدية والمناهج الوظيفية والمنطلقات النصية والتداولية والحجاج . فظلت تستحضر الأسئلة النظرية المشكلة لكل منهج من هذه المناهج ، ولم يسلم معظمها من حس الانبهار والاحتفاء بالنظرية وعقد موازنات ومقاربات تراثية لإثبات ريادية عربية تنطلق من حس تبجيلي وتكريمي للتراث مما أفضى الى انحسار اللسانيات التطبيقية .

فأغلب المشاكل والقضايا اللغوية التي تثيرها أدبيات التخطيط اللغوي العربي اللسانية هي قضايا سبق لأدبيات فقه اللغة أن شخصتها وعملت على معالجتها ما وسعها ذلك من محاربة العامية وتفنيد دعاوى العامية والعمل على اصلاح الخط العربي وتيسيره ومعالجة مشاكل الكتابة وتيسير تعليم اللغة والنحو وانتهاج اساليب معاصرة في تدريس العربية لأبنائها ولغير الناطقين بها ، ونبذ اللهجات و اصلاح الاساليب العربية وتنقيتها عبر حركة التصويب اللغوي والحد من الثنائية اللغوية الناشئة بسبب عدم تعريب لغة العلوم الصرفة والعمل على رفد العربية بالمصطلحات الحديثة والبحث بأسس التعريب ووضع المصطلحات هذه المشاكل وغيرها التي قد سبق معالجتها من أدبيات فقه اللغة تم اعادة انتاجها بلغة لسانية حديثة وانشاء نظري عال ولم تضف جديداً سوى في بعض القضايا كعلاقة اللغة والهوية (١٩) واللغة العربية والعولمة ومعالجة اللغة العربية حاسوبياً ، فلم ينطلق تشخيص تلك القضايا من أبحاث ميدانية اجتماعية ترصد الواقع بأرقام وبيانات احصائية نظير أدبيات التخطيط اللغوي في أوربا وبعض الدول الاسيوية غير العربية.

خاتمة البحث:

والبحث في ختامه يوجز أهم النتائج التي توصل اليها:

أولا: لا يمكن للتخطيط اللغوي أن يحيط بالمشاكل اللغوية الاجتماعية من دون دراسات لغوية ميدانية قائمة على الاحصاء الدقيق تزوده به اللسانيات الاجتماعية ، التي تشخص الى جنب ذلك مدى تفاقم الازدواجية وسبل معالجة الثنائية اللغوية ، والحكم على رفعة اللغات وضعتها في المجتمع المتعدد لغوياً بغية تعيين اكثر اللغات أهلية لان تكون لغة رسمية.

ثانياً: شكل نقد الأسس اللسانية البنيوية مخاض انبثاق اللسانيات الاجتماعية من خلال تسجيل المؤاخذات نحو اهمال دراسة الكلام واقتصار موضوع البحث اللساني البنيوي على اللسان في صورته المجردة عن اطر الاستعمال ، والمبالغة في حصر الدراسة في البعد التزامني واهمال الجوانب التعاقبية ، فذلك يفوت فرصة موازنة اللغات بغيرها أو بحقبها المختلفة للتعرف على عافية اللغات او تدهور استعمالها.

ثالثاً: الأسس المنهجية التي شكلت بصمة نوعية للسانيات الاجتماعية تمثلت بعدم الاحتفاء بالبعد النظري المعرفي(الابستمولوجي) والاهتمام بالأبعاد الوصفية التحليلية ، وتقييم اللغات مناهضة المقولة اللسانية البنيوية التي تنص على أن اللغات متكافئة في أنظمتها البنيوية .

رابعاً: تمثل اللسانيات الاجتماعية في أدبيات التخطيط اللغوي العربي حلقة مفقودة وثغرة كبيرة ، فمعظم تلك الأدبيات العربية انحت باللائمة على الفئة السياسية محملة إياها تردي وضع العربية وعدم التصدي لإصلاح ذلك الوضع من دون فحص قائم على لغة إحصائية تقيِّم الوضع اللغوي بلغة الأرقام كما هو حال الادبيات الغربية في هذا المجال .

خامساً: عمدت أدبيات التخطيط اللغوي العربي على اعادة انتاج مقولات خطاب فقه اللغة في منتصف القرن الماضي وستينياته في تسمية مشاكل العربية كقضية التعريب والثنائية اللغوية بسبب لغة العلوم الصرفة ، واصلاح الخط وتيسير تعليم العربية لا بنائها ولغير الناطقين بها من دون تقديم رؤى اصلاحية تتجاوز الانشاء النظري وتقدم برامج علمية اصلاحية تشخص حجم المشكلة الحقيقي من خلال دراسات لسانية ميدانية تديرها مؤسسات ومراكز بحثية.

سادساً: ثمة عيوب نسقية مضمرة في اللسانيات العربية فقد ظلت خطابا نخبويا متعالياً يدور في أسئلة النظرية والمنهج ويحرص على مواكبة مستجدات المشهد اللساني الغربي . ولم ترتبط اللسانيات بهواجس وقضايا لغوية إنمائية تتحسس مشاكل المجتمع وتعالجها بحثاً .

سابعاً: يمثل العقد الأول والثاني من الالفية الميلادية الثالثة رواج وانتشار أدبيات التخطيط والسياسة اللغوية في الدراسات العربية وهو وقت متزامن لأقصى حالات الضعف التي تعيشها مؤسسة الجامعة العربية الجهة المعنية والمهمة والراعية لأهم السياسات اللغوية في العالم العربي ؛ فلم تنطلق تلك الدراسات من برامج إنمائية فعلية . فعلى الرغم من هاجس الحرص على واقع العربية واستعمالها لكثير من الدارسات الا أنَّ الأمر – ومما يؤسف له – كان أقرب ما يكون موجة جديدة راق للبعض أنْ يمتطيها من خلال تدشين ألوان جديدة في الكتابة .

الهوامش :

(١) ينظر: اللسانيات التطبيقية . شارل بوتون ٧ وينظر: البحث اللغوي محمود فهمي حجازي١٢١
(٢) اللغة في المجتمع . علم اللغة الاجتماعي . جميس ميلروي وليزلي ميلروي ٤٩٠ .
(٣) ينظر: علم اللغة العام فرديناند دي سوسير ٣٧
(٤) ينظر: تشومسكي والثورة اللغوية . جون سيرل ١٣٩
(٥) ينظر: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات . مصطفى غلفان ٨٣ وما بعدها
(٦) ينظر: اللغة في المجتمع .علم اللغة الاجتماعي وما بعدها ٤٩٢.
(٧) من بين أبرز المعالجات التي تناولت ذلك : تاريخ اللغات ومستقبلها : هارالد هارمان ١٢٠ وما بعدها وينظر: موت اللغة . ديفيد كريستال.
(٨) ينظر : علم اللغة الاجتماعي . هدسن ٢٤٩ وما بعدها .
(٩) ينظر :أعلام الفكر اللغوي .جون إي جوزيف و آخران ٢٣٣١٢ وينظر : اللغة في المجتمع .علم اللغة الاجتماعي ٤٩٧ وما بعدها
(١٠) ينظر: السياسة اللغوية لويس جان كالفي ٥٤
(١١) ينظر: السياسات اللغوية . لويس جان كالفي ٣١
(١٢) ينظر: السياسات اللغوية ٣٣-٣٥
ينظر: السياسة اللغوية في البلاد العربية . عبد القادر الفاسي الفهري٢٥- ٢٧
(١٣) اللسانة الاجتماعية . جولييت غارامادي ١٥٣ وما بعدها .
(١٤) ينظر: مثلا اللغة العربية في مراحل الضعف والقوة . عبد العلي الودغيري ١٧٧ فلم يقدم اي ارقام احصئة فيما يتعلق بحجم الثنائية أو الزدواجية اللغوية وكذلك ميشال زكريا في كتابه :قضايا ألسنية تطبيقية فقد تحدث بنسب رقمية عن الثنائية والازدواجية في بلدان العالم ولكن خلا حديثه فيما يخص الازدواجية والثنائية في البلدان العربية من اي ارقام ينظر الصفحة ١٣ وما بعدها من كتابه
(١٥) اللسانيات واسسها المعرفية. عبد السلام المسدي ١٦-١٧
(١٦) اللغة والمجتمع عند العرب الجاحظ نموذجا .أليس كوراني ٧١

(١٧) ينظر : علم اللغة الاجتماعي مدخل . كمال بشر ٢٠٥ وينظر: اللغة واختلاف الجنسين أحمد مختار عمر ١٧ وما بعدها

(١٨) من أبرز الدراسات التي تناولت قضية اللغة والهوية دراسة اللغة والهوية لجون جوزيف وهو لبناني الاصل درس مشكلة الهوية العربية وصراع اللغة العربية والفرنسية بتاثير الثقافة الفرانكونية في لبنان ودراسة عز الدين المناصرة (الهويات والتعددية اللغوية) فقد تناول مشكلة الهوية العربية والهويات الفرعية ولغاتها مثل السريانية والكردية والامازيغية

المصادر

١- أعلام الفكر اللغوي .جون إي جوزيف و آخران . ترجمة شاكر الكلابي . الكتاب الجديد . الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

٢- البحث اللغوي . محمود فهمي حجازي .مكتبة غريب. مصر

٣- تاريخ اللغات ومستقبلها .هارالد هارمان .ترجمة سامي شمعون . الدوحة ٢٠٠٦

٤- تشومسكي والثورة اللغوية . جون سيرل .مجلة الفكر العربي المعاصر العددان ٨-٩ معهد الانماء القومي بيروت ١٩٧٩.

٥- دليل السوسيولسانيات .تحرير فلوريان كولماس . ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النهيبي . نشر المنظمة العربية للترجمة . بيروت الطبعة الاولى ٢٠٠٩.

٦- السياسات اللغوية . لويس جان كالفي . ترجمة محمد يحاتين . الدار العربية للعلوم ناشرون . بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٩ .

٧- السياسة اللغوية في البلاد العربية . عبد القادر الفاسي الفهري . دار الكتاب الجديد . بيروت الطبعة الاولى ٢٠١٣.

٨- علم اللغة الاجتماعي . هدسن ترجمة عبد الغني الملاح. دار الشؤون الثقافية. بغداد ١٩٨٧.

٩- علم اللغة الاجتماعي مدخل . كمال بشر . دار غريب . القاهرة

١٠- علم اللغة العام . فردينان دي سوسير . ترجمة يوئيل يوسف عزيز . دار آفاق عربية . بغداد . ١٩٨٥.

١١- قضايا ألسنية تطبيقية . ميشال زكريا .دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٩٣.

١٢- اللسانة الاجتماعية . جولييت غارمادي . ترجمة خليل أحمد خليل. دار الطليعة . بيروت . ١٩٩٠.

١٣- اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات.مصطفى غلفان.دار الكتاب الجديد .بيروت، ٢٠١٣

١٤- اللسانيات التطبيقية . شارل بوتون . ترجمة قاسم المقداد ومحمد رياض المصري. دار الوسيم دمشق .

١٥- اللسانيات واسسها المعرفية. عبد السلام المسدي .الدار التونسية للنشر تونس .

١٦- اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية . عبد العلي الودغيري . الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت. الطبعة الاولى ٢٠١٣.

١٧- اللغة العربية واختلاف الجنسين . أحمد مختار عمر . عالم الكتب . مصر الطبعة الاولى ١٩٩٦.

١٨- اللغة في المجتمع . علم اللغة الاجتماعي . جميس ميلروي وليزلي ميلروي . ضمن الموسوعة اللغوية المجلد الثاني تحري الاستاذ ن. ي . كولنج ترجمة محي الدين حميدي والدكتور عبد الله الحميدان . نشر جامعة الملك سعود١٤٢١ هـ.

١٩- اللغة والمجتمع عند العرب الجاحظ نموذجا .أليس كوراني .المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت .الطبعة الاولى ٢٠١٣ .

٢٠- اللغة والهوية. جون جوزيف . ترجمة . عبد النور الخرافي. سلسلة عالم المعرفة ٤٣٢ الكويت ٢٠٠٧

٢١- موت اللغة . ديفيد كريستال . ترجمة فهد الهيبي . نشر جامعة تبوك

٢٢- الهويات والتعددية اللغوية . عز الدين المناصرة .مجدلاوي للنشر ٢٠٠٤